

تحت الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

SOUS LE HAUT PATRONAGE DE MONSIEUR, LE MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار

L'UNIVERSITE COLONEI AHMED DRAYA-ADRAR

تنظّم
ORGANISE

الملتقى الدولي الحادي عشر
Onzième Colloque International

للتصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة
Le Soufisme en Islam et Les défis contemporains



التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة

Le soufisme en Islam et les défis contemporains

المحور الثاني:

نشأة التصوف وأعلامه

التعريف بالسنوسية الأسس الفكرية المنهج التربوي الإطار

د. يوسي الهواري
جامعة وهران

مقدمة:

تتميز السنوسية عن غيرها من الطرق الصوفية بأنها في أصلها حركة إصلاحية، اتخذت من التصوف وسيلة لإحداث التغيير على مستوى الفرد والمجتمع، وقد نجحت السنوسية إلى حد كبير في إعادة بلورت مفهوم التصوف، ومفهوم الزوايا، فبعد أن كان التصوف علاقة تعبدية محضة تربط العبد بربه قصد خوض غمار التجربة الروحية، أصبح التصوف عند السنوسية حركة اجتماعية عارمة، الهدف منها مراجعة جميع مناحي الحياة، وتقويمها وفق الكتاب والسنة، أما الزوايا فقد أصبحت عند السنوسية مراكز للدعوة إلى الله ومؤسسات تربوية وإصلاحية، بعد أن كانت ولفترات طويلة من التاريخ الإسلامي مغيبة عن واقع الأمة.

ويعود الفضل في إرساء هذا المفهوم وتجسيده في الواقع المعاش، إلى شيخ الطريقة السنوسية العلامة محمد بن علي السنوسي رحمه الله، هذا الشيخ الذي دفع بالتصوف إلى معترك الحياة وجعل منه منهجا تربويا، خرج رجالا كان لهم الأثر الكبير في تغيير مجرى التاريخ كعمر المختار زعيم المقاومة الليبية، وهذه ورقة متواضعة أحاول فيها التعريف بالسنوسية كحركة إسلامية متكاملة منهجا وعملا، فالسنوسية تعد بحق نموذجا لما ينبغي أن تكون عليه الطرق الصوفية من تكاملية في المنهج والعمل، أما المنهج فالمقصود به التربية السلوكية لمريدي هذه الطريقة، وأما العمل فالمقصود به تجسيد هذه التربية السلوكية، في الواقع المعاش بأن تؤتيا ثمارها على مستوى الجماعة، يقول الأستاذ أحمد حلمي زادة أحد مؤرخي تاريخ الدولة العثمانية: الطريقة السنوسية هي عبارة عن جمعية مذهبية وطريقة صوفية وسياسية واجتماعية، ولو أنها من الناحية السياسية ليس لها أغراض تمردية على الدولة¹ المبحث الأول: ترجمة مؤسس الحركة السنوسية²:

1- اسمه ونسبه:

هو الشيخ محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن أحمد المرابط ابن منداس بن عبد القوي

¹ نقلا عن الحركة السنوسية للدجاني ص 256 .

² أنظر برقة بين الأمس واليوم لمحمد الطيب الأشهب ص وما بعدها 134، التمار الزكية للحركة السنوسية لمحمد الصلابي ص وما بعدها 205، كتاب السنوسي الكبير، للأستاذ محمد الطيب الأشهب ص 8 .

بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي.

ولد رحمه الله سنة 1202هـ صبيحة يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من ربيع الأول عند طلوع الفجر ولذلك سماه والده محمداً تيمناً باسم النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت ولادته بضاحية (ميتاً) الواقعة ضفة وادي شلّف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة مستغانم في الجزائر وتوفي والده بعد عامين من ولادته، وتولت عمته فاطمة تربيته وتنشئته تنشئة صالحة وكانت من فضيلات أهل زمانها، ومتبحرة في العلوم ومنقطعة للتدريس والوعظ وقد اهتمت السيدة فاطمة بابن أخيها الذي أظهر حباً عظيماً لتحصيل العلوم.

2- طلبه للعلم:

أخذ الشيخ السنوسي يطلب العلوم من شيوخ مستغانم، وغيرها من البلاد ومن أشهر شيوخه في تلك المرحلة: محمد بن قعمش الطهراوي زوج عمته، وابنه عبد القادر وكانا عالمين جليلين صالحين وابن عمه الشيخ محمد السنوسي الذي تولاها بعد وفاة عمته في الطاعون عام 1209هـ وعمره لم يتجاوز السابعة واتم على ابن عمه حفظ القرآن الكريم برواياته السبع مع علم رسم الخط للمصحف، وبعد أن أتم ما يلزمه من لوازم حفظ القرآن واتقانه شرع ابن عمه الشيخ محمد السنوسي في تعليمه العلوم العربية ثم الدينية بالتدرج وتربيته على العمل بما تعلم وكان يزوده بتراجم العلماء والقادة والفقهاء وتوفي ابن عمه عام 1219هـ فجلس محمد بن علي على شيوخ من مستغانم وهم: محي الدين بن شلهبة، ومحمد بن ابي زوينة، وعبد القادر بن عمور، ومحمد القندوز، ومحمد بن عبدالله، وأحمد الطبولي الطرابلسي، وكلهم من جهاذة العلماء في زمانهم ومكث يطلب العلم في مستغانم سنتين كاملتين. وفي أوائل 1221هـ خرج من مستغانم إلى بلدة مازونه ومكث بها سنة واحدة وتتلذذ على مجموعة من المشائخ هم، محمد بن علي بن أبي طالب، أبو رأس المعسكري، وأبو المهل أبو زوينه، وبعد ذلك رحل إلى مدينة تلمسان وأقام بها ما يقارب من السنة وتتلذذ على كبار شيوخها.

3- رحلاته العلمية:

أ - الرحلة إلى فاس :

قصد الشيخ السنوسي رحمه الله مدينة فاس في المغرب الأقصى ومكث فيها سبع سنوات تقريباً، فأخذ العلم بالرواية عن أفاضل علماء فاس مثل، حمودة بن حاج، حمدون بن عبد الرحمن، والطيب الكيراني، محمد بن عامر المعواني، وأبي بكر الأدريسي، وإدريس بن زيان العراقي، ومحمد بن منصور، ومحمد بن عمر الزروالي، ومحمد البازعي، والعربي بن أحمد الدرقاوي، وكان العربي الدرقاوي من شيوخ الطريقة الشاذلية، وتبحر الشيخ السنوسي في معرفة الطرق الصوفية إلى جانب التفقه في علوم الدين،

وتحصل على إجازات من علماء راسخين وأصبح مدرساً بالجامع الكبير بمدينة فاس ونال المشيخة الكبرى بها.

ب- رحلته الى المشرق:

ذكر بعض المؤرخين أن الشيخ السنوسي قبل أن يسافر إلى المشرق رجع إلى بلده مستغانم وفيها قام بإتمام أول زواج له إذ بنى بإحدى بنات عمومته ثم انه بعد ذلك صفى أملاكه ثم انتقل يعد ذلك إلى جهة قسنطينة وجاء عند عرب اسمهم اولاد نايل كانوا في جنوب شرق قسنطينة فبنى عندهم زاوية ومارس هناك الوعظ والتعليم والإرشاد، وقرر بعد ذلك الارتحال إلى مكة وعرض على زوجته أن ترافقه فلم ترغب في ذلك، فرأى أن يطلقها لعلمه بطول المدة التي يرغب فيها بالانقطاع عن بلده، وغادر السنوسي الجزائر ودخل تونس وقابس وجامع الزيتونة، واستفاد من شيوخها واستفاد الطلاب منه، ثم واصل سيره ودخل طرابلس الغرب، فلم يترك بها مسجداً معروفاً إلا ألقى فيه دروساً، وواصل السنوسي سيره فدخل برقة، واستمر في رحلته مع الصحراء بواسطة القوافل حتى وصل القاهرة.

- دخوله القاهرة:

دخل السنوسي مصر وكان الحكم آنذاك لمحمد علي باشا وكان صاحب الجولة والصولة فيها وكان ذلك في عام 1239هـ/1824م وكان محمد علي باشا قد قبض على زمام الأمور في مصر بقوة منذ سنة 1805م وكانت فرصة للسنوسي ليتعرف على تجربة محمد علي باشا الإصلاحية.

- دخول الحجاز:

دخل الشيخ السنوسي الحجاز عام 1240هـ/1825م، ونزل بمكة المكرمة، وفيها اقبل على العلماء يتعرف عليهم ويأخذ عنهم، ولقد كان تشوقه للعلم وتواضعه في أخذه يبدوا جلياً في أي مكان حل فيه وكانت مكة تضم عدداً من العلماء المسلمين يمثلون المذاهب والاتجاهات الفكرية المختلفة، ففيهم الصوفي وفيهم المالكي وفيهم السلفي، وهذا جعله يطالع على معظم الاتجاهات في عصره، ومن أشهر العلماء الذين اخذ عنهم :

1- ابو سليمان عبدالحفيظ العجمي مفتي مكة وقاضياها .

2- ابو حفص عمر ابن عبد الرسول العطار، وقد ذكرهما في رسالته التي كتبها، كمقدمة لموطأ مالك باعتبارهما العالمين الذين يروي الموطأ عنهما من المشاركة .

3- احمد الدجاني، حيث اخذ عنه السنوسي عدداً من الطرق الصوفية وغيرهم كثير .

4- احمد ابن ادريس من افضل شيوخ السنوسي وقد تأثر به السنوسي تأثراً عظيماً وقد اخذ عنه السنوسي عدداً من الطرق الصوفية، ودرس عليه الحديث والسنة.

ولم يلبث السنوسي طويلاً بعد ذلك حتى بنى أول زاوية له في الحجاز، وباشر الدعوة في حياة شيخه ابن ادريس، وشرع في إلقاء الدروس في مكة وتعليم من يجتمع حوله من المريدين وطلاب العلم،

ويعتبر المؤرخون زاوية أبي قبيس أول الزوايا التي أسسها السنوسي بعد اعتزاه بالقيام بالدعوة واختياره لنظام الزوايا كوسيلة لنشر تعاليمه وأفكاره، ومكث في الحجاز في رحلته الأولى خمسة عشر سنة استطاع أن يجمع خلالها من التلاميذ والأتباع والمريدين أعداداً كثيرة، مما حرك ضده عداوة شيوخ مكة وعلمائها الذين كانوا يخالفونه وينقدون اعتماده الصريح الخالص على الكتاب والسنة في دروسه، واقتفاء السلف الصالح في إرشاده وتعليمه، وإقامته الحجة على أن الاجتهاد لم يغلغ بايه،
- رحلته من الحجاز الى المغرب:

عقد الشيخ النية وصمم على السفر للاشتراك في جهاد فرنسا في الجزائر، والتحق بركبه عدد كثير من اتباعه واخوانه وعين الشيخ عبدالله التواتي على زاوية ابي قبيس بمكة للقيام بشؤون الاتباع وكان سفره ذاك في آخر عام 1255هـ في 26 ذي الحجة حسبما هو مذكور في مذكرة مرافقيه الشيخ محمد بن صادق البكري، ثم سافر الى مصر من مكة ومعه عدد كبير من الاخوان وذلك آخر عام 1255هـ ودخلها أول عام 1256هـ وزار الجامع الأزهر وألقى دروساً نافعة، ثم تابع طريقه إلى أن استقر به المقام ببرقة فاتخذها مركزاً لدعوته.

المبحث الثاني: الأسس الفكرية للسنوسية:³

تتميز السنوسية بأنها حركة لها أسسها الفكرية الواضحة، هذه الأسس تعد بمثابة المعالم التي تسير عليها هذه الحركة، وقد عمل الشيخ السنوسي رحمه الله على تأصيل هذه الأسس من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فكان هذا أحد أسباب نجاح الحركة السنوسية، ويمكن معرفة هذه الأسس من خلال مؤلفات الشيخ محمد بن علي السنوسي، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً: دعوة الناس كافة إلى الالتزام بأحكام الإسلام الظاهرة والباطنة، وذلك أن المسلمين في تلك الحقبة كان قد انتشر فيه الجهل وقلة الالتزام، فكان تعليم الناس أحكام الشريعة هدفاً أولياً، حتى يحقق المسلم معنى إسلامه، ويمكننا ملاحظة عالمية الدعوة عند الإمام السنوسي من حرصه على إنشاء زواياه في كل مكان قدر عليه، فأول زاوية أنشأها كانت في الحجاز، ثم في مصر وليبيا والجزائر والسودان الإفريقي (تشاد ومالي)، وهذه سمة مهمة وخاصة تنبه لها الإمام بسبب حياته مع القرآن الدستور العالمي، وملاحظته ضعف المسلمين في كل مكان من العالم الإسلامي .

ثانياً: من خصائص وأسس الدعوة السنوسية ما يمكن تسميته بـسياسية عدم المواجهة مع الاتجاهات الإسلامية، وهذا يتضح لنا جلياً من خلال عدة مواقف للإمام، مثل موقفه من الحركة المهديّة ودعوته، حيث بعث إليه محمد أحمد المهدي صاحب الدعوة المهديّة في السودان كتاباً، فلم يرد عليه

³ أنظر الحركة السنوسية مؤسسها فكرها تنظيمها لجلال علي عامر، وكذلك المقال الذي نشرته في مجلة مخبر مخطوطات شمال إفريقيا، عرفت فيه بكتاب إيقاظ الوسنان، هذا الكتاب الذي يختزل فكر الشيخ السنوسي رحمه الله خاصة موقفه من وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، كذلك أنظر إلى أطروحة الماجستير التي درست فيها كتاب بغية المقاصد في خلاصة المراد، هذا الكتاب الذي يعد ثورة على ما كان سائداً أيام السنوسي وقبله من غلق باب الاجتهاد ومن الاعتناء بالمختصرات والحواشي الفقهية.

بنفي ولا إثبات، حيث ادعى المهديّة، أي أن صاحب الدعوة في السودان ادعى أنه المهدي المنتظر، فلم يواجهه مع رفضه لفكره، وأيضاً عدم مواجهته الدعوة الوهابية، مع أنها كانت ترى بطلان مبادئ الإمام السنوسي المتمثلة في التصوف والمعتقد السني الأشعري، ورغم ذلك فلم يؤثر عن الإمام السنوسي كلمات أو ردود على تلك الطائفة.

ثالثاً: من الأمور التي تميز هذه الدعوة عن غيرها من الدعوات في ذلك العصر هو رؤيتها الصحيحة للوضع السياسي، ولذا نراها لا تواجه الخلافة العثمانية، وتعتقد صحتها، وفي المقابل نرى الإمام السنوسي يعد ويستعد للمواجهة مع الدول الغربية التي احتلت الجزائر في تلك الفترة، فوجه اهتمامه إليها، يقول الرحالة الفرنسي وافرير في ذلك: " إن السنوسية هي المسؤولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر "، إلى أن يقول: " إن الحقيقة التي يجب أن لا نغفل عنها أو نتغافلها هي أن الطريقة السنوسية أخطر أعداء نفوذنا - أي الفرنسيين - في شمالي أفريقيا وفي السنغال، وأنها العقبة الكأداء في سبيل توسعنا السياسي والاقتصادي داخل إفريقيا " .

وهذا جعل الحكومة الفرنسية تومي إلى الدولة العثمانية بأن الحركة السنوسية تدعو إلى إضعاف الدولة العثمانية مما أثار شكوك الدولة العثمانية، لكن تبين من خلال من أرسلته إليهم كذب الحكومة الفرنسية فلم تعبا بها .

رابعاً: ومن آراء السيد محمد بن علي السنوسي البارزة هي دعوته إلى العمل بالكتاب والسنة في المجال الفقهي، ورفضه للتقليد الذي أوجبه المتأخرون وحملوا الناس عليه وأغلقوا باب الاجتهاد وهذا لا يعني رفض الاجتهادات التي جاء بها الأئمة الأربعة واستقر عليها عمل الأمة، فقد كان الإمام السنوسي يفتي بمذهب الإمام مالك، وهذا الرأي طرحه الإمام السنوسي بشكل واضح في كتابه المسمى بـ (إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن)، قد طبق الإمام رأيه هذا في كتابه: بغية المقاصد في خلاصة المراد، حيث ذكر فيه المسائل التي خالف فيها مذهب المالكية .

خامساً: من الخصائص التي امتازت بها الحركة السنوسية هي الربانية المتمثلة في الطريقة الصوفية السائرة على منهج الكتاب والسنة، يث تحتل الصوفية النقية محلاً من فكر الإمام السنوسي والدعوة السنوسية، فالإمام السنوسي هو أحد المتحققين في هذا الباب، وله فيه عدة مصنفات، من أهمها (السلسيل المعين في الطرائق الأربعين) .

المبحث الثالث: المنهج التربوي عند السنوسي⁴

اعتنى السنوسي رحمه الله بأتباعه عناية فائقة (الشيخو المستقبلين للزوايا) فوضع لهم منهجاً تربوياً، واستخدم معهم أسلوب الحكمة في الدعوة فحرص على أن لا ينفروهم، ولذلك استخدم المصطلحات

⁴ أنظر التمار الزكية لمحمد الصلابي ص 131، السلسيل المعين للشيخ السنوسي رحمه الله ص 8.

الصوفية المتعارف عليها في ذلك الوقت، وسمى تلاميذه مريدين، أما عن الطريقة الخاصة به فهي في حقيقتها دورة علمية لتأهيل الدعاة السنوسيين وليست طريقة صوفية كمثل طرق الصوفية الأخرى.

انتهج السنوسي نهجاً تربوياً استمدته من كتاب الله وسنة رسوله، فقد كان رحمه الله يؤمن بالصوفية الموافقة للكتاب والسنة، والصوفي الحقيقي في رأيه من يتقيد بالكتاب والسنة، وقد قال في ذلك " فاعلم أن سبيل القوم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الجليل والحقير وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة "، وقال عن تدرج المرید في مراتب السلوك:

أولاً: يتعين على المرید أن يصحح عقيدته بميزان اعتدال أهل السنة والجماعة كثر الله سوادهم وأدام امدادهم.

و هنا تبرز المناهج العقدية التي ألزم السنوسي أصحابه على دراستها كرسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهذا المسلك هو الذي سبب له المضايقات من صوفيي زمانه.

ثانياً: أن لا يقدم المرید على فعل شيء حتى يعلم حكم الله فيه، فيتعلم ما يحتاج إليه من المسائل الفقهية المتعلقة بظاهر البدن على مذهب من المذاهب الأربعة.

ولهذا كان اتباع الحركة السنوسية يتدارسون رسالة أبي زيد القيرواني في العقائد وفي الفقه المالكي، وأضاف ابن السنوسي بعض الكتب المهمة في هذا الباب، كصحيح البخاري، والموطأ وبلوغ المرام.

ثالثاً: ثم يتوجه إلى تزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب وتنقية السر.

إن دعوة ابن السنوسي إلى تزكية النفس وتهذيب الأخلاق من صميم القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف. قال تعالى: { ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم } (سورة النور: آية 21).

وقد تحدث ابن السنوسي عن النفس البشرية وأنواعها وأمراضها وكيفية علاجها حديث العالم الخبير في تحقيقها فمن حديثه عن:

النفس الأمارة: وهي صاحبة الجهل والبخل والحرص والكبر والغضب والشهوة والشهوة والحسد وسوء الخلق والخوض فيما لا يعني من الكلام وغيره والاستهزاء والبغض والإيذاء باليد واللسان وغير ذلك من القبائح ... فكن أيها الأخ منها على حذر ولا تنتصر لها إن أحد آذاها بل كن معيناً له عليها وتخلص من هذه الآفات.. بالذكر الكثير القوي وتقليل الطعام والنام، وحساب النفس كل ساعة، وخوفها بالموت، وعذاب القبر وما بعده من الأهوال...

النفس اللوامة: وقد تحدث ابن السنوسي عنها فقال: وهي التي لها رغبة في المجاهدة وموافقة الشرع ولها أعمال صالحة من قيام، وصيام، وصدقة، وغير ذلك من أفعال البر لكن يدخل عليها العجب

والكبر وكذا الرياء الخفي ؛ بأن يحب صاحبها أن يطلع الناس على ما هو عليه من الاعمال الصالحة، كالاخلاص وغيره ويحمده عليها مع أنه يخفيها عنهم ويعمل لله...

-النفس المطمئنة : وهي التي لاتفارق الأمر التكليفي شبراً ولا تتلذذ إلا بأخلاق المصطفى ﷺ ولا تطمئن إلا باتباع اقواله وتتلذذ بصاحبها أعين الناظرين وأسماع السامعين وعلم معنى قوله تعالى: {كل من عليها فان ..} ؛ فيجب عليه الاجتماع مع الخلق في بعض الاوقات ليفيض عليهم بما أنعم الله به عليه من علم الصدور، لاعلم السطور.

النفس الكاملة: وهي التي لايفتر صاحبها عن العبادة إما بجميع البدن أو باللسان، أو بالقلب، أبو بعضو من الأعضاء وصاحبها كثير الاستغفار، كثير التواضع، سروره ورضاه في توجه الخلق الى الحق، وحزنه في ضد ذلك، وهو كثير الالوجاع قليل القوى قليل الحركة ليس في قلبه كراهة لمخلوق من المخلوقات مع أنه يأمر وينهي ولا تأخذه في الله لومة لائم ويظهر الكراهة لمستحقيها والمحبة لمستحقها، فيضع كل شيء في محله متى ما وجه همته الى كون من الاكوان أوجده الله تعالى على وفق مراده وذلك لان مراده في مراد الحق سبحانه وتعالى.

لقد كان ابن السنوسي مريباً من الطراز الأول وكان عليماً بأمراض النفوس، وخبيراً بعالجها، ولقد نجح في تربية أصحابه على الاخلاق الرفيعة، وحقق نجاحاً باهراً، ورسم لأتباعه طريقة تعتمد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما عن أوراد الطريقة السنوسية، فهي عبارة عن تلاوة القرآن الكريم، ثم الاستغفار والتهليل والصلاة على النبي صلى اله عليه وسلم، وقراءة بعض الأدعية التي تحمل في طياتها معاني التوسل والتضرع الى الله وحمده جل جلاله وتسيبحة، وكان أتباع الحركة السنوسية يحافظون على أورادهم، ولم تكن معهم موسيقى، ولا حركات راقصة، وكانوا بعيدين عن الأعمال البهلوانية، كأكل الزجاج، وطعن الصدور بالسيوف واللعب مع الأفاعي، هذه الأعمال التي انتقدها الشيخ السنوسي بشدة على الطرق الصوفية الأخرى السنوسي ونقده لأخطاء الصوفية: أ

لقد وقعت كثير من الطرق الصوفية في انحرافات كثيرة، وقد تعرض السنوسي لبعض الطرق ووضح الاخطاء التي وقعت فيها؛ ففي حديثه عن الطريقة الصديقية يقول: دخل الغلط في الأخلاق على جماعة من هذه الطائفة وذلك من قلة معرفتهم بالأحوال واتباعهم حظوظ النفس، ولكنهم لم يتأدبوا بمن يروضهم ويخرجهم من الرعونات ويجرعهم المرارات ويدلهم على المناهج الرضية في علاج عيوب النفس وطريق دوائها؛ فمثلهم كمثل من يدخل بيتاً مظلماً بلا سراج إلا من أراد الله هديته بجذب عنايته فالله هو الولي الحميد.

وانتقد ابن السنوسي بعض دخلاء المتصوفة: (... ومنها ماكثر به تبجح كثير من بعض المتسكين، من دخلاء المتصوفة، وغلاة المتورعين، من الأعجاب بأعمالهم، والتمدح بأحوالهم، وكونهم مخصوصين بينابيع الامداد، ومواهب الكرامة، لايبالون بمن عداهم ولو كانوا على محض الاستقامة...).
لم يكتف الشيخ السنوسي بالنقد، بل عمل على تصحيح مفاهيم الاسلام التي انحرفت بعض طرق الصوفية عنها، كالعبادة، والتوكل، والجهاد:
أ- العبادة:

إن من عوامل النهوض التي سار عليها السنوسي تصحيح مفهوم العبادة في أذهان أتباعه ونجد ذلك في قوله لبعض تلاميذه وإخوانه لأي شيء نأمركم بقراءة النحو؟ لإصلاح ألسنتكم لكتاب الله وحديث الرسول (ع) ثم قال : (بالكم تقولون الذي يقرأ النحو ما نوصله الى الله. بالكم تقولون الذي يخدم الحجر والطين م نوصله الى الله، بالكم تقولون الذي يرعى الابل مانوصله الى الله، وهكذا وعدّ أشياء كثيرة).

ينتضح من خلال كلام الشيخ السنوسي مفهوم العبادة الشامل عند اتباع الحركة السنوسية، ولهذا كان طلاب الزوايا في يوم الخميس من كل اسبوع يخصصونه للشغل بالأيدي، فيتركون الدروس كلها ويشغلون بأنواع المهن من بناء ونجارة وحدادة ونساجة وغير ذلك، لا تجد فيهم إلا عاملاً بيده.
ب- التوكل:

كان السنوسي يحب للمسلم أن يعيش من عمل يده وعرق جبينه ليغرس في نفسه حب التعفف فمما رواه عنه كبار الاخوان انه كان يقول: (الذهب في الأرض، فغوصوا لاستخراجه بالمحراث" وكان يقول: الدرر في غرس الشجر أو تحت ورق الشجر ويقول: اليد العليا خير من اليد السفلى والاستقامة كنز لا يبلى والعفة حسب دائم. ومن مد يده متسولاً قصر لسانه. فهذه التوجيهات تدلنا على فهم السنوسي لمفهوم التوكل، فدعا الى مباشرة الاسباب مع تفويض الأمر لله تعالى، وحارب التواكل الذي انتشر في كثير من الطرق الصوفية.

ج- الجهاد:

عمل السنوسي على تربية أتباعه على الاستعداد للجهاد في سبيل الله، وكان كثيراً ما يدعو للجهاد ويأمر به ضد كل معتد على ارض المسلمين، فقد قام بتنبيه وتحذير الليبيين من غزو الطليان لليبيا قال مرة للشيخ الكاسح أحد زعماء قبيلة العواقر (ماذا أعددت ياشيخ الكاسح للنابلتان إذا غزو بلادك ليأخذها؟ فقال له الشيخ الكاسح أعددت له جراباً من البارود وشيئاً من الرصاص فقال له ابن السنوسي اذا كنت وأنت شيخ القبيلة ولم يوجد عندك إلا هذا المقدار القليل فماذا يوجد عند أفراد القبيلة.
وكان ابن السنوسي يُفهم ذلك لكل من يجالسه من الأخوان ورؤساء الزوايا، وشيوخ القبائل والاعيان، ويأمرهم أن يحذروا من ذلك وأن يحتاطوا له، وأن يأمرؤا معلمي الصبيان بالقاء الدروس في

هذا الشأن وكان يأمر رؤساء الزوايا باقتناء جميع أنواع السلاح ما استطاعوا الى ذلك سبيلا، ويحتفظوا به في مخازن خاصة.

المبحث الرابع: الزاوية عند السنوسية⁵

الزوايا في المفهوم الصوفي هي أماكن ينقطع فيها العباد للعبادة، ويعتزلون الناس فيها فلا يعملون، ولا يخالطون الناس، ويعيشون على ما يأتيهم من صدقات من الناس، ولكن السنوسيين كان لهم طابعهم الخاص في زواياهم والتي انتهجوا فيها النهج الصحيح، فصنع منها السنوسيين دولة مصغرة تحتوي على مجتمع نشيط منتج تحكمه سلطة وعليه واجبات اجتماعية واقتصادية وسياسية ودعوية وجهادية.

تبنى الزاوية في قطعة من الأرض المختارة بالاتفاق مع القبيلة التي تمتلك الناحية ومع ممثل السنوسي السنوسي نفسه، وتكون في الغالب على ربوة عالية تشرف على ما حولها، ويعين السنوسي لهذه الزاوية رئيسا يلقب بشيخ الزاوية وتكون الأرض وقفاً، وتجمع التكاليف من الأهالي من أبناء القبائل الذين سيسكنون الزاوية، وتحتوي الزاوية على مسجد، ومسكن للناس ومسكن لشيخ الزاوية وسوق، ومكان للزراعة، ودار للضيافة، وحجرة خاصة بالفقراء الذين لا عائل لهم ولا مأوى. وكذلك تحتوي على إسطنبول وبستان ومتجر على الأقل، وفرن لسد حاجة السكان بالخبز، كذلك هي تحتوي على بئر أو تكون في واحة.

وبنيت هذه الزوايا على الطرق الصحراوية التجارية في الغالب، إذاً فهي مناطق حية استطاع السنوسيون بث الحياة في الصحراء ونشر الدعوة الإسلامية، وتحويل المجتمعات البدوية البعيدة عن النظام، والبعيدة عن الدين إلى مجتمعات مستوطنة مقيمة لشعائر الدين كصلاة الجمعة والجماعة، وكإظهار وإبراز شعائر الدين العظيمة، والتي لا يمكن إظهارها خصوصاً في البوادي الذين يتفرقون قريباً من النجع ويسرحون بإبلهم فلا تراهم يجتمعون على صلاة.

وبالنسبة لموارد الزاوية المالية فهي عبارة عن ما يتحصل عليه عن طريق الزراعة وتربية المواشي، والهبات الخيرية المقدمة من الأهالي، والزكاة الشرعية.

⁵ أنظر الحركة السنوسية للدجاني ص 143 وما بعدها.

أنظر التمار الزكية للصلاحي ص 109، السنوسي الكبير ص 143 وما بعدها.